مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Ibn Khaldon Center for Humanities and Social Sciences

دار نشر جامعة قطر
Qatar University Press

OPEN ACCESS
Submitted: 2 April 2019
Accepted: 16 April 2019

تقرير

المؤتمر الدولي الثاني لمركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعيّة
التعدد القومي في الشرق الأوسط: نحو إطار حضاري مشترك

National Pluralism in the Middle East: Towards a Common Civilizational Framework

الدوحة: 26-27 آذار/مارس 2019
حسين محمد نعيم الحق
باحث في مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قطر
Hossain Mohamed Naimul Hoque
Researcher at Ibn Khaldon Center for Humanities & Social Sciences, Qatar University
hhoque@qu.edu.qa

نظّم مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة قطر بالتعاون مع جامعة ابن خلدون بتركيا ومركز الجزيرة للدراسات مؤتمرًا دوليًا يومي 26-27 مارس 2019م تحت عنوان: «التعدد القومي في الشرق الأوسط: نحو إطار حضاري مشترك»، وكان اليوم الأول بقاعة المختصر في فندق ريتزكارلتون-الدوحة، في حين كان اليوم الثاني بمدرج مجمع البحوث، جامعة قطر. وشارك في المؤتمر أربعة متحدثين أساسيين، وستة عشر باحثًا قدّموا بحوثهم العلميّة، وناقشوا من خلالها محاور المؤتمر الثلاثة، وهي:

- عوائق التلاقي الحضاري بين قوميّات الشرق الأوسط: سؤال التاريخ والأيديولوجيا.
- توظيفات القوى الإقليميّة والدولية لقوميات الشرق الأوسط في العصر الحديث.
- الأسس الفكرية لتشكيل الإطار الحضاري المشترك لقوميات الشرق الأوسط.

جاء هذا المؤتمر ضمن إطارَي «المواكبة والأقلمة» الذين يسعى مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية لتحقيقهما، وسلّط المؤتمر الضوء على القوميات من حيث تفاعلها وآفاق الاجتماع الحضاري المشترك بينها.

افتتح المؤتمر بتلاوة عطِرة من الذكر الحكيم للقارئ محمد علي الأبرش، أعقبها كلمة سعادة الدكتور حسن بن راشد الدرهم، رئيس جامعة قطر، والتي جاء فيها: «إن المؤتمر يناقش إحدى القضايا التي شغلت الرأي العام في هذه المنطقة لعشرات السنين، وإن المسألة القومية تعدّ من القضايا المركزية في المشهد الإسلامي منذ مطلع القرن العشرين»، وأضاف سعادته أن «التنوع العرقي نمط من أنماط الاختلاف الذي يعدُّ سنّةً إلهيةً في الاجتماع الإنساني، وسنّة الاختلاف تنعكس إيجابًا على المجتمعات المتقدمة؛ فتشكّل ثراءً حضاريًا قادرًا على استيعاب الفروقات، والتباينات

للاقتباس: الحق ح.، «التعدد القومي في الشرق الأوسط: نحو إطار حضاري مشترك»، مجلة تجسير، المجلد الأوّل، العدد الأوّل، 2019

https://doi.org/10.29117/tis.2019.0018

© 2019، الحق ، الجهة المرخص لها: دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية بواسطة الوصول الحر ووفقًا لشروط Creative Commons Attribution license CC BY 4.0. هذه الرخصة تتيح حرية إعادة التوزيع، التعديل، التغيير، والاشتقاق من العمل، سواء أكان ذلك لأغراض تجارية أو غير تجارية، طالما ينسب العمل الأصلي للمؤلفين.

دون إقصائها».

وختم الدكتور الدرهم حديثه بترحيبه بالجميع متمنيًا لأعمال المؤتمر النجاح، وأن تكون توصياته لبنة هامة في سبيل الاستفادة من الإرث الحضاري المشترك الجامع بين القوميات المختلفة في المنطقة. ثم بدأت الجلسة الافتتاحيّة تحت عنوان: «العرب والترك والفرس بين أغلال التاريخ وآفاق المستقبل»، وترأّسها فضيلة الدكتور نايف بن نهار، مدير مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وتحدث فيها كل من معالي رئيس الوزراء التونسي السابق حمادي الجبالي، وسعادة وزير الخارجيّة الإيراني السابق الدكتور كمال خرازي، وسعادة رئيس جامعة ابن خلدون أ. د. رجب شنتورك.

وأشاد الدكتور نايف في بداية الجلسة بالحضور الملفت للمؤتمر، وأن «مثل هذا الحضور الكبير في المناسبات العلمية خير دليل على عودة المشهد الثقافي القطري، لا سيما بعد الأزمة الخليجية، ليؤدي دوره المناسب واللائق به»، وأن «مثل هذه المؤتمرات تعيد للجامعات دورها الحقيقي، ليس فقط في قيادة الرأي العام، بل في الإسهام في رسم الاستراتيجية الحضارية للأمة الإسلامية». وقال الجبالي في حديثه: «إننا بحاجة ماسّة إلى الانتقال من التنظير لمعالجة قضية القوميات إلى التطبيق الواقعي على أرض الواقع، و «إن الشعوب تنتظر وترقب، فلا مجال للمحاباة الزائدة».

وأشار إلى أن الأكراد قومية مضطهدة، وأنهم أبلوا بلاء حسنًا في بناء الحضارة الإسلامية، ويكفيهم أن يكون منهم القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي الذي حرّر القدس. وتساءل الجبالي عن الحيرة الموجودة في المسألة القومية، قائلاً: «ألم تتحدد هذه القوميات تحت مظلة الإسلام؟ ألم تنصهر في أمة واحدة تحت سقفه؟ وكانت كلها تثري الحضارة الإسلامية، وأنها تفرقت بتأخرنا وجهلنا وفعل الاستعمار والمكائد المستمرة، وأن ما يجري باسم القومية هو تقسم المقسَّم، ولا يمكن أن يتحدث باسم العرب، فالقومية أرادت أن تحل محل الإسلام، وتعوِّض السقف الإسلامي والهوية الإسلامية، وإبعاد البعد الإسلامي من الواقع، فصرنا أكثر تشرذمًا، حيث إن هناك انقسامًا داخل القومية العربية نفسها، من ناصرية إلى بعثية إلى غيرها، فتساءل: هل هذا هو المطلوب لتلتقي القومية العربية مع القوميات الأخرى، ولتتقدم إلى الأمام؟!»

وفي حديثه قال الدكتور كمال خرازي: «إن الجمع بين القوميات المختلفة بحاجة إلى حوار شامل حول التحديات التي تواجهها المنطقة، وإلى تعاون الجامعات فيما بينها في توعية الشعوب وحل النزاعات، ودور الإعلام في ذلك، كما أكّد على دور الإسلام في جمع القوميات المختلفة تحت مظلة واحدة». وعن سؤال وجّه إليه أجاب خرازي: «إن إيران فيها قوميات كثيرة، كالفرس، والترك، والعرب، والكرد، والبلوش، وغيرهم، ولكنها استطاعت أن تدير هذا التنوع على أساس الدين والثقافة». ويرى الدكتور كمال أن التمسك بالإسلام مهم للغاية للخروج من أزمات الهوية الفرعية التي عانى منها المسلمون جميعًا، وقدّم اقتراحات بهذا الصدد، كعقد الاجتماعات بين العلماء لتبادل الآراء، والسعي لإعادة مجد الحضارة الإسلامية، والاستثمار في تطور العلوم والتكنولوجيا في الدول الإسلامية، وتوفير سبل التعاون بين الجامعات في العالم الإسلامي.

وقال الدكتور شنتورك في كلمته: «إن التنوع سنة الله تعالى في الاجتماع الإنساني، ولا يمكن إزالته، كما لا يمكن جعل البشر جميعًا نسخة واحدة، وأن هناك من يريد أن يجعلهم جميعًا كرجل واحد، كالفاشيين، والشيوعيين، ولكنهم فشلوا؛ لأنه أمر لا يتطابق مع الطبيعة الإنسانية، وفي المقابل هناك من يرى أن التنوع مصدر قوة، ولكنه بحاجة إلى إدارة جيدة، فلو أمكن إدارة التنوع الديني والعرقي والثقافي والمذهبي فإنه يتحول إلى مصدر قوة وثروة، وهذه هي الرؤية الإسلامية في إدارة التنوع». ويرى شنتورك أن الدولة العثمانية استطاعت أن تدير القوميات حسب الرؤية الإسلامية التي ورثتها من الدول السابقة في ضوء الإدارة النبوية والخلفاء الراشدين، ودعا إلى ما سمّاها بالحضارة المنفتحة التي تنفتح على جميع القوميات والحضارات والأمم والشعوب. وأن الأتراك يشعرون بحب تجاه القوميات الأخرى.

وقد تفاعل الحضور مع الأفكار التي طُرحت من قبل المتحدثين، فقدّموا رؤى مؤيدة وأخرى معارضة لما جاء في كلمات المتحدثين. ثم بدأت جلسات المؤتمر، فكانت الجلسة الأولى برئاسة الدكتور بكيل الزنداني حول المشاريع القومية في الشرق الأوسط: قراءة في الواقع والمآلات، شارك فيها كل من الدكتور محمود الحداد، أستاذ التاريخ في جامعة بلمند، لبنان، والدكتور رمضان إرداغ، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة إسكي شهير، والدكتور عبد الرضا فرجي داد، المدير العام للمجلس الاستراتيجي للعلاقات الخارجية الإيرانية، وعبد الحكيم خسرو، محاضر بكلية العلوم السياسية، جامعة صلاح الدين-أربيل.

ورأس الجلسة الثانية التي تمحورت حول توظيفات القوى الإقليمية والدولية لقوميات الشرق الأوسط في العصر الحديث الدكتور راشد النعيمي، وتحدث فيها كل من الدكتور يونس محمد حول بحثه المعنون بـ «التوظيف الإيراني والأمريكي والإسرائيلي للمسألة الكردية في العراق»، والباحث محمد بهلول عن بحثه «استغلال القوى الكبرى للقومية الكردية في الشرق الأوسط: دراسة مقارنة بين روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الأمريكية»، والدكتور قصي فالح عن «التأثيرات الإقليمية والدولية على القومية التركمانية: العراق نموذجاً»، والأستاذ الدكتور أحمد عبد الله آدم حول «دور القوى الدولية في دعم وتأييد القوميات في الشرق الأوسط: جنوب السودان نموذجًا». وبذلك انتهت أعمال اليوم الأول من المؤتمر، وقد تميزت الجلسات كلها بمداخلات الجمهور وأسئلتهم حول البحوث المقدمة.

بدأت أعمال اليوم الثاني للمؤتمر بمحاضرة افتتاحية للمؤرخ الإسلامي الدكتور علي محمد الصلابي بعنوان «الأسس الفكرية لتأسيس إطار حضاري مشترك بين القوميات الأربع»، وركّز فيها على النقاط الجامعة بين القوميات المختلفة، والأسس المؤطّرة لهذا الجمع، كالتوحيد والحرية وحقوق الإنسان، وكتاب الله تعالى كمرجعية عليا، وهدي النبي - صلى الله عليه وسلم - كنموذج واقعي، والمقاصد، والغايات، والقيم الإنسانية العظيمة، وتكريم الروح الإنسانية بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى، وعلاقة التعارف والتعاون والسلام والوئام بين البشر.

وقال: «إن الله تعالى خاطب بني آدم قائلًا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}، لتعارفوا تُصنع بها الثقافة، ولتعارفوا تُصنع بها الحضارة، ولتعارفوا تُصنع بها نهضة الأمة، وهذا ما نلمسه في التاريخ، حيث نجد هذه القوميات وقفت في خندق واحد، وهو خندق الإسلام، وأسهمت في صناعة الأمة، وقيادة الثقافة، وتطوير الحضارة، بناءً على القيم الكبرى التي جاء بها القرآن الكريم، والله تعالى أعطى الحرية للجميع، حتى لإبليس الذي أعلن عصيانه لله تعالى، ونقل القرآن كلامه كما هو، وهو أوضح مثال لحرية الرأي في الإسلام».

ويرى الصلابي أن هذه القوميات في وجدانها محبة عظيمة للإسلام، والقرآن، والنبي - صلى الله عليه وسلم - وقد شاركت في النهوض الثقافي والشهود الحضاري للأمة الإسلامية، وكانت هناك مداخلات مستفيضة وأسئلة عديدة حول المحاضرة والقضايا التي تم طرحها من قبل المحاضر.

ثم كانت الجلسة الثالثة للمؤتمر والتي خصِّصت لدراسة عوائق التلاقي الحضاري وسؤال التاريخ، وقد رأسها الأستاذ الدكتور حسن السيد، وشارك فيها كل من الأستاذ الدكتور محمد آيدين ببحث معنون بـ «العوائق الحضارية بين القومية التركية والقومية العربية»، والدكتور السيد علي الموسوي ببحث عن «قوميات الشرق الأوسط بين الحضارة المشتركة وإشكالية الهوية» والدكتور براء نزار ببحث «إبراز التطورات العربية الحديثة تجاه تركيا والتوظيف السياسي لها»، والباحثة منال زهران. أما الجلسة الرابعة فترأستها الدكتورة حنان الفيّاض، وتركزت بحوث المشاركين فيها حول اللغة والهوية والمسألة القومية، وقد شارك في هذه الجلسة الدكتور منير حسين ببحث «الحاجز اللغوي الثقافي بين قوميات الشرق الأوسط»، والدكتور فاروق أحمد ببحث «الإعلام الرسمي وسؤال الهوية في السودان: إقليم دار فور أنموذجًا».

وجاءت الجلسة الختامية لدراسة الأسس الفكرية لتشكيل الإطار الحضاري المشترك لقوميات الشرق الأوسط، ورأستها الأستاذة ريم الحرمي، وتحدث فيها الأستاذ الدكتور مصطفى بخوش عن العرب والكرد والعلاقة المستقبلية الممكنة، كما قدّم فيها الدكتور مارك فرحا بحثه المعنون بـ «الإرث المنسي للوطن العالمي: استعادة الجذور العالميّة العابرة للمجتمع للعهد العثماني الغابر».

وقد تخللت الجلسات كلها أسئلة وتعقيبات ومداخلات من الحضور حول البحوث المقدّمة، والقضايا المطروحة، وأعلن المؤتمر ختام أعماله تمام الساعة الخامسة مساء بتوقيت مكة المكرمة.

وقد خلُص المؤتمر إلى النتائج والتوصيات الآتية:

- إن قضية القوميات في الشرق الأوسط قضية معقّدة ومهمة في نفس الوقت؛ لأنها موجودة على أرض الواقع، حيث لا يمكن إنكارها، ولا التغاضي عنها، ويجب أن تُوضع في الحسبان في أي سيناريو مستقبلي للمنطقة سياسي، أو اقتصادي، أو اجتماعي.

- وجود أخطاء عديدة في التعاطي مع ملف المسألة القومية في الشرق الأوسط، ما أدّى إلى ظهور الحركات القومية، كالحركة الطورانية، والقومية العربية، والقومية الكردية.

- التأكيد على الدور الكبير للإسلام في حلّ كثير من النزاعات القائمة على أساس القوميات والطوائف، بصفته يجمع بين أغلب مكوّنات القوميات في الشرق الأوسط.

- التأكيد على ضرورة معالجة قضية القوميات داخل إطار الدولة، باعتماد حلول ومبادرات وطنية، وخيارات إقليمية تنبثق من مشاركة تفاعلية بين مختلف الفئات الفاعلة في المسألة القومية، مع تحمل الجميع مسؤولية ضمان الوحدة الوطنية لدول المنطقة، والوقوف ضد أيّة حركة تمرّد للانفصال.
- احترام قيادة الأقاليم ذات الأغلبية القومية المعينة لقوانين الدولة وأنظمتها، والحكومة المركزية، وعدم التعاون مع الجهات الخارجية المعادية للوحدة الوطنية.

- التأكيد على إدماج الأقليات القومية في البناء الوطني عن طريق توفير فرص المشاركة الفاعلة بين جميع أبناء الوطن، بغض النظر عن الانتماء القومي أو العرقي، وهو ما سيؤثر إيجابًا لتعزيز الانتماء الوطني والاستقرار.

- الدعوة إلى مصالحة وطنية بين جميع القوميات في البلاد ذات التعددية القومية كالعراق، وإيران، وتركيا، وسوريا، وهذا يعني دخول ممثّلي الأحزاب السياسية، ومنظّمات المجتمع المدني، والشخصيات الفاعلة في بناء الوطن على أساس توافقي مشترك.

- اعتماد الحوار في التعاطي مع المشاكل القومية الموجودة والمحتملة.

- إعادة تقييم العلاقة العربية التركية وفق المتغيرات الإقليمية السياسية الجديدة، ووضع سياسات اقتصادية عربية تحقق التعاون مع تركيا؛ لتكون ركيزة من ركائز تطوير العمل المشترك، بما يحقق التعايش والاندماج لقوميات الشرق الأوسط.

- أهمية العودة النقدية البنّاءة لتاريخ العلاقات العربية التركية، والعلاقات العربية الإيرانية، ومجموع العلاقات المركبة بين قوميات الشرق الأوسط.

- ضرورة اعتراف المؤسسات الإعلامية الرسمية للدول التي توجد لديها أزمات قومية ونزعات انفصالية بوجود مشكلة حقيقية في بنية الدولة، والكف عن التزكية الإعلامية، والتمييز السلبي على أساس الانتماء الجغرافي/الإقليمي أو العرقي أو الديني، ومدّ جسور التواصل مع الجميع بلغاتهم المحلية، مع الاستفادة من البدائل التي تتيحها التطبيقات الرقمية، بهدف الحد من النزعات الانفصالية أو المحاصصات الطائفية والقومية.

- خطورة التهميش الحكومي الذي يسمح للتدخل الخارجي، وشرعنة وجوده، وأهمية تعزيز الشعور الوطني للقوميات، وزيادة الاهتمام بثقافتها المحلية، وموروثها الاجتماعي، ضمن سياسات الدول ذات التعددية القومية.

- اعتماد سياسات تقوم على خيارات التمكين الثقافي والهوياتي لكل المكونات القومية الموجودة في المنطقة، وضمان حصانتها من الإغراءات الخارجية، وإبراز المشتركات الدينية والثقافية وغيرها، بالإضافة إلى اعتماد سياسة لغوية وإعلامية عادلة تمثّل جميع الفئات الاجتماعية.